"صالة الوصول "

أحمد على كامل / مصر

كانت الصالة تعج بالمسافرين والحركة لا تهدأ ،ووقفت بعيداً أراقبهم بدهشة وترقب، كنت قد وصلت لتوي من رحلتي الطويلة ،شغلني عقلي بشخص جلس بمفرده وإلى جواره حقائب كثيرة، عيناه زائغة في أرجاء المكان تلهث خلف سراب ما ، شعرت بتعاطف غريب تجاهه وودت لو تكلمت معه فقد أنبأتني نظراته بأنه يتألم ، كان يلتفت بين الحين والآخر نحو باب كبير في نهاية الصالة وكأنه يتنظر شخص ما...

لحظات وتحولت نظراته من العبوس والقلق إلى الخوف حينما اقترب منه شخص يرتدي بدلة سوداء، ووجدته يتصبب عرقاً ثم يمد يده نحو حقائبه لا يدري أيهم يأخذ فقطع ذو البدلة السوداء تردده وأخبره أن الحقائب ستلحق به، ليتحركا بعدها ويختفيا عن عيني.

عدت أنظر لباقي المسافرين أتابعهم بشغف كبير،شرد عقلي بالتفكير في رحلتي الطويلة وكيف أنني خلفت ورائي أبي وسافرت حتى ألقى أمي بعد غياب دام لسنوات ، وحاصرتني الأسئلة ...

كيف ستكون أمي بعد تلك السنين؟

هل لا تزال تشكي من قدمها ؟

هل ستأخذني في حضنها الذي طالما حلمت به ؟

أم ستأتي وقلبها يحمل عتاب قد لا أقوى عليه ؟

خاصة بعدما قصرت في حقها قبل أن يفرقنا السفر؟ تذكرت جسدها المنهك وعينيها التي كانت تحلفني دوماً بأن أنتبه لنفسي مما تخفيه الأيام ، أكتفي بعبارات تقليدية مربتاً على يدها المعروقة، فتفاجئني بدموع تنسال من جفونها المرهقة ، تلجمني المفاجأة فأمي القوية التي أذابتنا ونحن صغار خوفاً وأحتراماً بات المرض وحش ينخر جسدها، لكني

الآن على يقين بأن دمعها لم يكن ألماً وإنما كان خوفاً .. خوفاٌ علي.

خرجت من قاعة أفكاري وعدت لصالة الوصول، ظللت أراقب الباب الخارجي للصالة كي ألمحها بمجرد أن تطأ قدماها المكان ، كنت على يقين أنها ستأتي لن يمنعها عني شيءً ولن يكدر تقصيري صفو شوقنا لبعض ، فبقدر شوقي لتقبيل قدميها قبل يديها بقدر ما تشتاق هي لرؤية عيني وسماع أنفاسي ، يشتد الزحام عند الباب خاصة بعد دخول عدد كبير من المستقبلين لاقاربهم وأحبائهم، عناق هنا وهناك،صوت بكاء الفرحة يعلو في المكان ، تزوغ عيني فيما يدور من حولي ، ثوان وشعرت برجفة تجتاح جسدي ،

رفعت رأسي تجاه الباب فوجدتها واقفة تتأملني في صمت تحتضني عيناها قبل جسدها ، أبتسامة مرتعشة تكسو وجهها ، يدها ترتفع ببطء،قلبها يناديني فلا أشعر إلا وقدمي تنهب الأرض عدواً تجاهها.

لم أكن أشعر بأي ألم.. قدمي المريضة ذهب وجعها لغير رجعة، وددت أن أسعد قلب ولدي بهذا الأمر لكن أنشغاله الدائم منعني ، بعاد السفر بيننا وأقتصر الأمر على مكالمات قصيرة غير واضحة لا تسمن ولا تغني من جوع، كنت وبالرغم من شدتي أسعد بمجرد أن تصلني أخبار تنبؤني باستقرار أحواله، أتباهى بتربيتي التي جعلت منه رجلاً يشار له

بالبنان ، تزداد سعادتي حينما أسمعه وهو يدعو لي وأشاهد ما يفعله من أجلي حتى ونحن في مكانين مختلفين، صحيح أن علاقتنا شهدت كثيراً من الجذب والشد قبل السفر لكني لم أحب في حياتي أكثر مما أحببته، وحينما بلغني خبر قدومه لم تسع فرحتي ملء

الأرض والسماء ، ووجدتني أسرع نحو صالة الوصول.

أتذكر مجلسنا الدائم في غرفتي حينما كانت تضيق به الدنيا، ألمحه يلقي بجسده المنهك على طرف سريري يستحلفني أن أدعو له ، أتحسس يدي فأشعر بشفتاه وهو يلثمها حينما كان يغدوا أو يروح، شعرت بأنفاسي تختلج حينما وصلت للباب الذي يقبع ولدي خلفه ، ووجدت قدمي ترتعش بعدما أثقلها التردد من الأقتراب، سرت لداخل الصالة ووقفت أعدو بنظراتي بين الأجساد المتعانقة.

وأخيراً لمحته يقف مرتبكاً يفرك يديه بعضهما ببعض كما هي عادته حينما يتوتر ، خيوط من الدموع الساخنة تجمعت عند طرفي عيناي ثم أنسالت دون إرادتي، صرخت نفسي بأسمه دون أن أنطق فوجدته يلتفت لي وكأنه سمعني ، فردت له ذراعي وحضني ووددت أن أسرع تجاه فلم يمهلني إذ أندفع نحوي منغرزاً في ثنايا جسدي...

لم أدر كم لبثنا على هذا الوضع حتى خيل لمن حولنا أن جسدينا ألتصقا ببعضهما ولن ينفصلا، رجعت للخلف فلمحت عينيه الباكية الناطقة بألف عبارة أسف فقابلته بنظرات الرضا والسماح، أنفرجت شفتاه ليخرج صوته مرتعشاً ناطقاً بأخر عبارة كان قد ألقاها على مسامعي قبل رحيلي عن الدنيا:

" راضية عني "

فألتمعت الدموع في عيني وهززت رأسي بالإيجاب دون أن أقوى على الكلام .